المبحث الخامس

الإتيان بالمضارع ..
والأمر والمشتقات من « أتى »

المبحث الخامس

الإتيان بالمضارع .. والأمر والمشتقات من « أتى »

بتتبع شواهد القرآن الكريم وجدنا أن المضارع والأمر والمشتقات فيه لم تأت إلا من الفعل « أتى » .

وقد يعلل ذلك بما قالوه : من استواء الفعلين « جاء وأتى » ماضيين فى الخفة ، أما المضارع والأمر والمشتقات فإن « يأتى وأئت وآتٍ » أخف من « يجيء وجيء وجاء » [1] .

وهذا وإن كان صحيحاً إلا أن الاكتفاء به فيه إغفال للفروق بين الفعلين فى المعنى التى ذكرناها ـ قبل ـ وترك للوجوه التى فسرنا بها المجيء بأحد الفعلين بصيغة الماضى دون الآخر ، مع أنهما متساويان فى الخفة .

والتحقيق الذى دلنا عليه إنعام النظر إلى شواهد الصيغ الثلاث ـ أن الإتيان بها ليس لسهولة اللفظ فحسب ؛ وإنما لوجوه أخرى هى فيما يأتى :

مجيء المضارع من « أتى » .

يرجع ظاهر استعمال الفعل المضارع « يأتى » دون الفعل « يجيء » فى جميع شواهد القرآن الكريم ـ والله أعلم ـ إلى أن الفعل المضارع يدل بصيغته على تجدد الحدث وتأتيه شيئاً فشيئاً ، فيناسب هذه الدلالة أن يؤتى بالفعل « يأتى » لأن مادته ـ كما سبق ـ تدل على التسهل والتأتى ، فتلتقى دلالة المادة مع دلالة الصيغة .

وهذا هو الوجه الذى نفقهه فى الإتيان بالفعل « يأتى » مضارعا ، والفعل « جاء » ماضيا مع إسنادهما لفاعل واحد فى هذه الآية :

٣٠٥ – قال تعالى : ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ، قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [2] .

فالفعلان فى قوله : « تأتينا » و « جئتنا » مسندان إلى فاعل واحد وهو موسى عليه السلام ـ ومدلولهما واحد ، وقد وقع فعلاً قبل حديث بنى إسرائيل لموسى . لكن عند

---

(١) ينظر البرهان للزركشى : ٨٠/٤ . (٢) الأعراف : ١٢٩ .

الإخبار عنه بالمضارع مراعاة لاستقبال الوقوع ومناسبة للسياق ـ عبر بالفعل « يأتى » وعند الإخبار عنه بالماضى مراعاة للوقوع عبر عنه بالفعل « جاء » وذلك للوجه الذى ذكرناه .

وهذا ـ أيضاً ـ هو الوجه الذى يرجع إليه الإتيان بالمضارع « يأتى » مع صعوبة الحدث ، ومع وجود دعوة إلى الإتيان ، خلافاً لما قررناه فى المبحثين : الأول والثانى ـ من تعين الإتيان بالفعل « جاء » ماضياً عند صعوبة الفعل ، وكونه عن دعوة .

فمن شواهد ذلك :

٣٠٦ ـ قول الله تعالى : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (١) .

الفعل « يأتى .. » فى الآيات يدل على إتيان فيه شدة وصعوبة ؛ لأنه مجيء سنوات شداد قاسية ، وعام يعصرهم ويهلكهم بجوعه ، فلما روعيت حالة التأتى ، وحركة الفعل واستمرارها ـ أتى به دون الفعل « يجيء » ونحن على ذكر من أنه لو كان بصيغة الماضى لأتى بالفعل « وجاء » دون « أتى » مراعاة للصعوبة والشدة فى المجيء .

٣٠٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ، قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

قوله : ﴿ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ الإتيان هنا عن دعوة ، والوجه فى الإتيان بالمضارع من « أتى » دون الإتيان به من « جاء » ـ والله أعلم ـ مراعاة دلالة الصيغة والمادة على السهولة التى يستدعيها مقام الآية وسياقها ، كما يترك الإتيان بالفعل « جاء » لهذا الغرض (٣) .

وقد يبرز مع معنى التأتى وتسهل حركة الفعل معنى من معانى الإتيان التى ذكرناها عن أهل اللغة ، كالنفاذ ، والكثرة ، إلى غير ذلك ما يدل عليه مقام الكلام وسياقه .

---

(١) يوسف : ٤٧ ـ ٤٩ .

(٢) البقرة : ٢٦٠ .

(٣) ينظر ما قلناه عند الحديث عن آية فصلت : ١١ .

فمن الشواهد التى يشير سياقها إلى معنى النفاذ ما يأتى :

٣٠٨ - قال تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ (١) .

قوله : ﴿ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ يبلغوا إليه خاضعين راضين بحكمه لأنه لصالحهم . والسياق له دلالته بقوله : « إليه » فهو غاية الإتيان .

٣٠٩ - وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ، يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ، وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ، لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) .

قوله : « لم يأتوك » أى لم يبلغوا إليك كما يذعنون بإتيانهم عندما يكون لهم هدف ومصلحة فى ذلك .

قال الزمخشرى : « يعنى اليهود الذى لم يصلوا إلى مجلس رسول الله ﷺ وتجافوا عنه لما أفرط فيهم من شدة البغضاء ، وتبالغ من العداوة .. » (٣) .

٣١٠ - وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ، وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (٤) .

يحكى الله « تعالى » إعلان إبليس - لعنه الله - أن ينفذ إلى بنى آدم لإغوائهم وإضلالهم ، وهو إتيان غريب ؛ لأنه مسلوك من جهات عدة ، إصراراً منه على النفاذ إليهم ليتحقق له ما يريد .

٣١١ - وقال تعالى : ﴿ لاَّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٥) .

---

(١) النور : ٤٨ ، ٤٩ .
(٢) المائدة : ٤١ .
(٣) الكشاف : ٦١٣/١ وينظر البحر المحيط : ٤٨٧/٣
(٤) الأعراف : ١٧ .
(٥) فصلت : ٤٢ .

هنا فيه نفى لنفاذ الباطل إلى القرآن ، ودفع أن يصل إليه ما يغض من شأنه ، لأنه من الله الحكيم المنزه عما لا يليق .

٣١٢ - وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ، مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (١) .

قوله : ﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ﴾ أى لم يبلغكم ويصيبكم وينفذ إليكم ما ذكرته الآية من البأساء والضراء وزلزلة القلق وتعجل النصر ، فإتيان المثل يتمثل فى وقوع ذلك وتحققه .

٣١٣ - وقال تعالى : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٢) .

« فسيأتيهم » أى ستتسهل لهم وتبلغهم الأنباء وتستقر فيهم ليوقنوا أن ما كذبوا به هو الحق .

٣١٤ - وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣) .

« ألم يأتكم » استفهام لإنكار نفيهم وصول الأنباء ، وتقرير لوصولها وبلوغها إليهم ، فكان ينبغى أن يتعظوا بها ، وينزجروا بما علموا من أنباء من قبلهم .

وقد يكون المعنى البارز مع التأتى والتسهل معنى الكثرة ، يدل على ذلك مساق الكلام وذلك كما فى الشواهد الآتية :

٣١٥ - قال تعالى : ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ، لَا تَأْتِيهِمْ ، كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (٤) .

قوله : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُم ﴾ أى إتيان كثرة ، يدل على ذلك مقام الآية لأنها تقص ما كان من إغراء لهم ، واختبار بهذه الحيتان وكثرتها ، وبيان غلبة الطمع عليهم ، ومعصيتهم أمر الله لهم .

---

(١) البقرة : ٢١٤ .
(٢) الشعراء : ٦ .
(٣) التغابن : ٥ .
(٤) الأعراف : ١٦٣ .

٣١٦ - وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١).

﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً ﴾ أى إتيانها بكثرة ، يدل على ذلك حال الأمن الذى هم فيه ، والطمأنينة التى تعمهم ، وكذلك بما فيه من قوله : ﴿ رَغَداً ﴾ و ﴿ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ يدل على هذه الكثرة .

٣١٧ - وقال تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٢).

قوله : ﴿ يَأْتُوكَ ﴾ و ﴿ يَأْتِينَ ﴾ فيهما معنى التسهل والكثرة ، وهى كثرة تملأ الفجاج والسهول ، إحاطة للأذان من كل فج عميق .

٣١٨ - وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِى الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ (٣).

الإتيان هنا بكثرة ، بدلالة المقام والسياق فى قوله : ﴿ بِكُلِّ سَحَّارٍ ﴾ وقوله : ﴿ فِى الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ .

٣١٩ - وقال تعالى : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤).

كثرة الإتيان واضحة بينة بدلالة المقام ، وسياق الكلام بما فيه من المجاز العقلى ، بإسناد الإتيان إلى السماء ، والآتى هو الدخان ، وإسناد الفعل إلى المكان يدل على شيوعه وشموله له ، وكثرته فيه كثرة ترى الناظر أن المكان يتحرك ، ولكثرته فهو يغشى الناس ، أى عمومهم دون أن يترك واحداً منهم .

٣٢٠ - وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ﴾ (٥).

أى تأتون بكثرة واضحة ، لما فى الفوج من كثرة ، تزداد بكثرة الأفواج وهكذا يبرز مع الفعل المضارع « يأتى » من معانى المادة ما يساعد عليه المقام والسياق (٦) .

---

(١) النحل : ١١٢ (٢) الحج : ٢٧ (٣) الشعراء : ٣٦ ، ٣٧ .
(٤) الدخان : ١٠ ، ١١ (٥) النبأ : ١٨ .
(٦) جميع شواهد المضارع فى القرآن الكريم ثمانية وسبعون ومائة شاهد ، منها شاهدان اقترنا بلام الأمر ، وقد استشهدنا بما نيف على الأربعين شاهدا مكتفين بها لسهولة قياس ما تركناه عليها .

مجيء الأمر من « أتى » :

قلنا : إن الوجه فى الإتيـان بالمضارع من « أتى » دون « جاء » فى القرآن الكريم هو مراعاة الوفاء بالدلالة على تجدد الحدث وتأتيه شيئاً فشيئاً بمادة الفعل وصيغته ، وهكذا الشأن فى الإتيان بالأمر من « أتى » لأنه لما كان مطلوباً به إتيان غير حاصل وقت الطلب ـ ناسب ذلك أن يؤتى به من « أتى » لأمرين :

الأول : أن فعل الأمر أكثر اتصالا بالفعل المضارع ؛ لكون المطلوب : به يقع أولا فى زمن المضارع الذى رتبته من حيث الزمن أسبق من الماضى [1] .

الأمر الآخـر : أن فعل الأمر لما كان يطلب به حـدوث فعل غير حاصل وقت الطلب ، والطلب يناسبه تمكن من يطلب منه ـ حقيقة أو على سبيل الادعاء ـ ناسب ذلك أن يكون الأمر بالإتيان من مادة « أتى » لدلالتها على السهولة المناسبة لتمكن المأمور به ـ دون الفعل « جيء » [2] .

قال البقاعى عند تفسير الآية الآتية :

٣٢١ – قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَآ عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [3] .

قال : « قال الحرالى : الآتى بالأمر يكون عن مكنة وقوة » [4] .

فالذى نذهب إليه فى فقه مجيء الأمر من « أتى » دون « جاء » هو مناسبة دلالة المادة على السهولة لتمكن الآتى بالأمر وسهولته عليه .

ومما هو واضح الدلالة على أن الإتيان بالشيء لا يكون إلا عن قدرة وتمكن منه نفى استطاعة الإتيان رداً لمن يتعنت فى طلبه ، شاهد ذلك :

٣٢٢ – قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ

---

(١) ينظر الخصائص : ٣١/٢ .

(٢) وهذا فرق ما بين الاستعمال القرآنى للكلمات مراعى فيها هذه الفروق الدقيقة ، وبلاغته المعجزة وبين استعمالها فى كلام البشر ، قال الفرزدق :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فقد أتى بالأمر من « جاء » دون أن نجد ما ذكرنا ، البيت فى ديوانه : ٤١٨/١ .

(٣) البقرة : ٢٣ . (٤) نظم الدرر فى تناسب الآى والسور : ١٦٢/١ .

بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ، قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ ، إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

فقوله : ﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ ﴾ نفي للقدرة على التبديل ، ومن باب أولى الإتيان بقرآن ، وهذا دليل على أن ما يطلب ينبغي أن يكون في الاستطاعة والإمكان .

ومن الأدلة على أن الإتيان بالشيء يكون عن مكنة منه تعليقه على الصدق ، وقد جاء ذلك في شواهد كثيرة في معرض تحدي الكافرين أن يأتوا بمثل القرآن أو بمثل آية منه ، وكذلك ما جاء على لسان الكافرين تحديا للرسل ، وطلباً لإثبات صدقهم فيما جاءوا به ، بأن يأتوا بما تعنت به الكافرون ، من ذلك (٢) .

٣٢٣ - قول الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣) .

٣٢٤ - قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤) .

ومما جاء في عناد الكافرين :

[١٣٤] قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٥) .

٣٢٥ - وقوله تعالى : ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٦) .

ولا يتعين أن يكون الإتيان في مكنة الآتي على سبيل الحقيقة ، بل قد يكون على سبيل الادعاء ، وفي معرض التحدي كما مر ، وقد اجتمع التمكن حقيقة والتمكن على سبيل التحدي في هذه الآية :

---

(١) يونس : ١٥ .

(٢) وبقية شواهد التعليق على الصدق في السور : البقرة : ٢٣ ، آل عمران :٩٣ ، الأعراف : ٦٠ ، هود : ٣٢ ، الشعراء : ٣١ ، ١٥٤ ، القصص : ٤٩ ، العنكبوت : ٢٩ ، الصافات ١٥٧ ، الدخان : ٣٦ ، الجاثية : ٢٥ ، الأحقاف : ٤ ، ٢٢ ، الطور : ٣٤ .

(٣) يونس : ٣٨ .

(٤) هود : ١٣ .

(٥) الأعراف : ١٠٦ .

(٦) الأعراف : ٧٧ .

٣٢٦ - قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ ، وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

قوله : « ﴿ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ ﴾ الإتيان هنا فى قدرة الله تعالى . وقوله : « فأت بها من المغرب » الإتيان هنا يستحيل فى جانب المعاند ، وإنما طلب منه على سبيل التحدى لأنه ادعى أمراً ليس فى إمكانه وهو إحياء الموتى مغالطة منه ، وتحويلها ، فألجمه إبراهيم عليه السلام وألزمه الحجة .

وتكون المسكنة من الإتيان بالأمر مردها إلى الله جل وعلا .

٣٢٧ - قال تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) .

﴿ فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ الإتيان المطلوب هنا ليس فى إمكان الرسل إلا بأمر الله تعالى ؛ بدليل حوابهم على ذلك يقولهم فى الآية التى بعد ذلك :

٣٢٨ - قال تعالى : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ، وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

نفوا - عليهم الصلاة والسلام - قدرتهم على الإتيان بسلطان من عند أنفسهم إلا أنه فى قدرة الله وبإذنه جائز . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ومما يدل - أيضاً - على أن الإتيان يكون عن مكنة الآتى وقدرته عليه - مجىء الأمر به فى مقامات التشريع الإلهى ، وبيان الأحكام ، أو فى سياق حكاية الأمر به ، والتكليف بين بنى الإنسان ، ومعلوم أن التكليف لا يكون إلا بما يستطاع ، من شواهد ذلك :

٣٢٩ - قوله تعالى : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ ، قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ، وَلَيْسَ

(١) البقرة : ٢٥٨ . (٢) إبراهيم : ١٠ . (٣) إبراهيم : ١١ .

الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ، وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١).

قوله : ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ تشريع وبيان لما يجب أن يكون ودعوة إلى التقوى.

٣٣٠ - وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ، قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ، وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ، فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِن حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢).

﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ﴾ تشريع وبيان لجهة الإتيان ، وعدم ترك ما أمر الله .

٣٣١ - وقوله تعالى : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣).

الأمر بالإتيان تكليف بالرسالة وتحمل أعبائها ، وقد هيئ المرسلون لذلك .

٣٣٢ - وقوله تعالى حكاية لما يأمر به فرعون حاشيته : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (٤).

٣٣٣ - وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ، فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (٥).

٣٣٤ - وقوله تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ،وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴾ (٦).

٣٣٥ - وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ (٧).

وهكذا جميع شواهد الأمر بالإتيان ، فيها دلالة على القدرة عليه ، قدرة أودعها الله تعالى فى المأمور ، كما فى الشواهد التى مرت ، أو قدرة راجعة فى حقيقة الأمر إلى الله جل وعلا كما فى هذه الآيات :

---

(١) البقرة : ١٨٩ . (٢) البقرة : ٢٢٢ . (٣) الشعراء : ١٦ .
(٤) يونس : ٧٩. (٥) يوسف : ٥٤ . (٦) طه : ٦٤ .
(٧) الأنبياء : ٦١ .

٣٣٦ – قال تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ، فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) .

فَإتيان لوط قومه بالعذاب لا يملكه هو ، وإنما هو بيد الله تعالى وقدرته .

[٢] وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (٢) .

﴿ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ﴾ إتيانهما ليس بقدرة لهما عليه وإنما هو بقدرة الله تعالى .

ويتجلى تمام القدرة على الإتيان ، لأنه من الله تعالى فى هذا الشاهد :

٣٣٧ – قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) .

قوله : ﴿ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ حكاية لدعائهم ، الإتيان مسند إلى صاحب القوى جل وعلا .

وقد يكون ما قررناه قد ازداد وضوحاً بالشواهد التى ذكرناها لصيغة الأمر « ائت » (٤) والله أعلم .

مجيء المشتقات من « أتي » :

يتفق وجه الإتيان بالمشتقات من الفعل « أتى » دون الفعل « جاء » مع وجه الإتيان بالمضارع منه ؛ لأن المشتقات – كاسمى الفاعل والمفعول – تصلح للدلالة على الأزمنة الثلاثة ، ولا تتعين دلالتها على زمن معين إلا بقرينة .

وبهذا تتفق دلالة صيغة « آت » على التأتى والسهولة والمواتاة وحسن المطاوعة مع دلالة مادتها .

وقد جاءت شواهد المشتقات فى القرآن الكريم بصيغة اسم الفاعل « آت » ما عدا شاهداً واحداً ، جاء بصيغة اسم المفعول ، وإن كان بمعنى اسم الفاعل .

---

(١) العنكبوت : ٢٩ .
(٢) فصلت : ١١ .
(٣) الأنفال : ٣٢ .
(٤) جميع شواهد الأمر فى القرآن الكريم سبعة وثلاثون شاهداً استشهدنا بها جميعاً فيما سبق .

وترتبط جميع الشواهد بوعد الله تعالى بالموت وإتيان الساعة وحشر الناس وحسابهم وما يتصل بذلك مما هو إتيان واقع فى المستقبل يناسبه التأتى والسهولة المناسبة لقدرة الله جل وعلا ، فشواهد الساعة ما يأتى :

٣٣٨ - قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ ، فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ (١).

٣٣٩ - وقال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ (٢).

٣٤٠ - وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن فِى الْقُبُورِ ﴾ (٣).

٣٤١ - وقال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤).

فقد جاءت صيغة اسم الفاعل من « أتى » مع إسنادها إل الساعة ويؤكد صحة الوجه الذى ذكرناه من دلالة الصيغة على السهولة المناسبة للمادة ، فكانت أولى من صيغة « جاء » ـ أننا لاحظنا أن ما أسند إلى الساعة عند الإخبار عن المجىء فى الزمن الماضى هو الفعل « جاء » (٥).

ومن مجىء الوعد المؤجل عند الله تعالى من البعث والإتيان بالناس يوم القيامة :

٣٤٢ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ ، وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ (٦).

٣٤٣ - وقوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لآتٍ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٧).

أى « إن أجل الله الذى أجله لمبعث خلقه للجزاء والعقاب لآت قريباً » (٨).

٣٤٤ - وقوله تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِى الرَّحْمَنِ عَبْداً * لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً ﴾ (٩).

---

(١) الحجر : ٨٥ .
(٢) طه : ١٥ .
(٣) الحج : ٧.
(٤) غافر : ٥٩ .
(٥) ينظر المبحث الأول ص ١٧ .
(٦) الأنعام : ١٣٤.
(٧) العنكبوت : ٥.
(٨) جامع البيان : ١٣٠/٢٠
(٩) مريم : ٩٣ - ٩٥.

« آتى » فى الآيتين إتيان فى المستقبل يوم القيامة وبعث للناس ، وهو إتيان سهل لا صعوبة فيه ، لأن الله الذى لا يعجزه شىء هو الذى قدرهم وبعثهم .

ومن شواهد إتيان العذاب ، بإسناد اسم الفاعل « آت » إليه .

[٤٧] قوله تعالى : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ (١) .

ومن شواهد اسم الفاعل دالا على الحدث فى الحال :

٣٤٥ - قوله تعالى : ﴿ وَأَن لاَّ تَعْلُواْ عَلَى اللهِ ، إِنِّى آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) .

يخبر موسى فرعون ومن معه بأنه يعرض عليه الآيات والبراهين التى تدل على صدق رسالته ، فينبغى عليهم أن يستجيبوا له ، فاسم الفاعل « آت » يدل على الحال بدلالة المقام .

أما شاهد اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل فهو (٣) :

٣٤٦ - قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ، إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ (٤) .

قوله : « مأتيا » اسم مفعول ، وهو بمعنى اسم الفاعل « آتيا » جاء فى اللسان : « إنه كان وعده مأتيا ـ أى آتيا ؛ لأن ما أتيته فقد أتاك ، وقال الجوهرى : وقد يكون مفعولا ؛ لأن ما أتاك من أمر الله فقد أتيته أنت » (٥) .

وهو إتيان فيه سهولة ونفاذ ، أى سيبلغكم ويتأتى لكم ما وعدتموه ، والله جل وعلا أعلى وأعلم .

* * *

---

(١) هود : ٧٦ .

(٢) الدخان : ١٩ .

(٣) جميع شواهد المشتقات فى القرآن الكريم أحد عشر شاهداً وهى التى ذكرناها ، عشر شواهد بصيغة اسم الفاعل ، وشاهد بصيغة اسم المفعول .

(٤) مريم : ٦١ .

(٥) لسان العرب : ص ٢٢ .